

حنين إلى مجالس أمس ونواب "يتنفسون" السياسة غابت المحاسبة والإستجابات وجلسات أيام زمان



مجلس نواب 1972: إبان مناقشة حكومة الرئيس تقي الدين الصلح عام 1973.

لا يختلف اثنان على ان نواب الامس كانوا افضل في الاداء والتشريع مقارنة مع المجموع الاكبر من النواب الذين وصلوا الى ساحة النجمة بعد عام 1992. لا يزال اللبنانيون يتذكرون كوكبة من البرلمانيين من دورة 1972 وقبلها الذين تركوا بصمات في المكتبة الدستورية. يدل نتاجهم عليهم حيث كانوا يمضون ساعات طويلة في اللجان والغوص في مواد القانون ودراسة المشاريع والاقتراحات

الجامعات، لاسيما تلك التي تتعلق بالحياة اليومية للمواطنين، والتواصل مع نقابات المهنة الحرة او القطاعات العمالية. كان الهدف من كل ذلك تحضير الرأي العام قبل طرح القوانين وبتها. لا يتوانى مدير عام حالي في المجلس عن القول انه ما زال يحن الى نواب عرفهم البرلمان، وكانوا مفخرة في التشريع



برلمان ما بعد الحرب اللبنانية.

كتل غابت واحفاد يحملون الراية

وجود الكتل النيابية في البرلمان ليس وليد اليوم. سبق ان شهد كتلا كبيرة تحت قبة هيئته العامة قادتها شخصيات تقليدية كان لها الباع الكبير في اختيار النواب. كان المرشحون في الماضي يتسابقون على حجز امكنة لهم على لوائح: احمد الاسعد ونجله كامل، صبري حمادة، صائب سلام، رشيد كرامي، جوزف سكاف، مجيد ارسلان، سليمان العلي، الى وجوه اخرى. ثمة زعماء مارسوا الطريقة نفسها عبر بوابة الاحزاب من امثال كميل شمعون، كمال جنبلاط، ريمون اده، بيار الجميل. وكانت لكتل هؤلاء الكلمة الفصل البرلمان. تمكن احفاد كمال جنبلاط وبيار الجميل وسليمان فرنجيه، من الاستمرار في حمل رايتهم الحزبية والعائلية. حضر في البرلمان ايضا وارثون لنواب مخضرمين ابناء او زوجات لمعروف سعد وجوزف سكاف وكميل شمعون رينه معوض وانور الخطيب.

بعد دورة 1992 غابت وجوه وكتل عدة جراء التبدلات التي حصلت في الخريطة السياسية في الطوائف وظهور وجوه سياسية في عصابة الحرب اللبنانية، تصدرت فيهما نجومية نبيه بري ورفيق الحريري ومن بعده نجله سعد. اما على المقلب المسيحي فحضر ميشال عون بقوة ووصل الى رئاسة الجمهورية وسمير جعجع. وغابت الكتلة الوطنية وشخصيات مسيحية عدة. يحافظ حزب الكتائب على وجوده بشق النفس بينما دخلت احزاب جديدة للمرة الاولى الى المجلس كالحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث والجماعة الاسلامية وتنظيم المشاريع.

ساعات طويلة في اللجان والغوص في مواد القانون ودراسة المشاريع والاقتراحات. كثيرون يشبهون انتخابات 6 ايار بتلك التي رافقت انتخابات 1972 من حيث ديناميتها وتقلب التحالفات وتعدد اللوائح والكتل، وصولا الى الحزب على الاقتراع بوفرة وحماسة. كذلك الامر في مقارنة وجوه ذلك البرلمان ووجوه ما بعد الحرب، وقد تبقى من مجلس 1972 قليلون في المجلس الحالي او مرشحون لانتخابات 2018 او خارج السلطة الاشتراعية. الا ان مجلس 1972 يبقى صورة ساطعة عن سياسة ذلك الزمان التي تحاول انتخابات 2018 استعادة تجربتها.

يبقى الاهم من كل ذلك ان عيون نواب مجلس 1972 وما قبله في عقود الستينات والخمسينات والاربعينات لم تكن تفارق مراقبة الحكومة، وكان الوزراء يخشون الوقوع في افخاخ الاستئلة والاستجابات، على عكس ما هو حاصل اليوم بدءا من العقد الاخيرين حيث غابت المعارضة الفعلية. لم تعد الحكومات تبصر النور الا بعد اشهر طويلة بتوافق القوى السياسية وزعماء الافرقاء. غابت المحاسبة واعمال الرقابة الا في ما ندر.

لا يزال المدراء الى امنا سر اللجان النيابية من الموظفين في المجلس من السابقين وبعض الحاليين يتذكرون صولات السجلات النيابية في مختلف الجلسات، سواء كانت مشتركة او عامة. كان يسبق بت القوانين جولة طويلة من المناقشات والاخذ والرد في اللجان. يذكر زملاء واكبوا تلك المرحلة، زمن مجلس 1972، ان رؤساء لجان تولاهما امين الحافظ وخاتشيك بابكيان واوغست باخوس ورينه معوض وآخرون، كانوا يعمدون الى عقد مؤتمرات صحافية يتناولون فيها مواضيع المشاريع التي ستتناولها لجانهم بغية الحصول على ردود مسبقة من مختلف فئات المجتمع، من المحامين واساتذة

كبار. يستند عليها في الافكار التي يقدمها وتبنيها في المشاريع والقوانين. عندما يعود موظفون قدامى الى ارشيف ذكرياتهم مع نواب سابقين وراجلين لا ينسون مداخلات نصري المعلوف وبلاغته الى درجة ان المندوبين الاعلاميين في المجلس لم يحتاجوا الى حذف كلمة واحدة من مداخلاته وتصريحاته. وكيف كان مع زملاء له يدققون في البيانات الوزارية للحكومات ويتوقفون عند ادق التفاصيل الواردة. لا يسمحون باجتياز الموازنة مرور الكرام، لا بل كانوا يدققون في كل بنودها وارقامها. كانت الجلسات تمتد الى ما بعد الثالثة بعد الظهر، وكان حسن الرفاعي يستفيض في مداخلاته المميزة الى درجة كانت تدفع بعض النواب الى مناداته: "يا حسن تعبنا بدنا نروح على الغداء".

يخلص مدير عام الى القول ان 70% من نواب دورة 1972 كانوا من العاملين والناشطين من اصل 99 نائباً. اما اليوم، فإن الذين يشتغلون ويفقهون في التشريع ويعرفون حقيقة الواجبات المطلوبة منهم لا يتجاوزن 20 من اصل 128 نائباً.

اما النواب في الدورات الاخيرة بعد اتفاق الطائف، فلا يجوز ظلم الجميع. ثمة اسماء عدة حفرت مواقع لها في ساحة النجمة بدءاً من الرئيس نبيه بري الذي تمكن على مدار خمس دورات من رئاسته للمجلس من الحفاظ على هذه المؤسسة. يتوقف مدراء في المجلس عند الحيوية التي كان يتمتع بها جوزف مغيزل والرئيسان سليم الحص وعمر كرامي وادمون نعيم ومحمد قباني وبهيج طبارة وقبلان عيسى الخوري وغسان مخير وصلاح حنين وروبير غانم وايلي الفرزلي وياسين جابر الى نواب من حزب الله. لم ينس الجميع حضور شخصية وليد جنبلاط وشفافية نسيب لحدود.

الكتلة	1992	1996	2000	2005	2009
نبيه بري	18	17	17	16	13
سليم الحص	8	3	-	-	-
وليد جنبلاط	13	13	14	13	9
حزب الله	11	9	11	13	9
رفيق (وسعد) الحريري	-	8	21	24	27
القومي	4	5	3	2	2
البعث	1	2	2	1	2
الكتائب	-	-	2	3	5
القوات اللبنانية	-	-	-	4	8
ميشال عون	-	-	-	9	18
المردة	4	4	3	-	4
طلال ارسلان	2	1	1	-	1
حزب الوطنيين الاحرار	-	-	-	-	1
ميشال المر	4	5	3	1	1
الجماعة الاسلامية	3	1	-	-	1
الاحباش	1	-	-	-	-
الطاشناق	7	7	2	2	2

الدورة	النواب الجدد
1992	108
1996	49
2000	46
2005	61
2009	47

سكاف. راحت تحتل عناوين الصحف في اليوم التالي لتتحول مادة رئيسة على السنة اللبنانية. يتذكر امين سر سابق لاحدى اللجان محمد يوسف بيضون ومحمود عمار كيف كانا يديران اللجان التي ترأسها كل واحد منهما، وهما يقرآن المشاريع والاقتراحات كلمة كلمة، ويتوقفان عند الصغيرة والكبيرة. شكل عبده عويدات علامة فارقة في التشريع واحضاره الكتب القانونية والدستورية الى الجلسات، وهي تعود الى مراجع عرب واجانب

الثلاثة الاخيرة من 1972

الثلاثة الاخيرة مرشحون من دورة 1972 لانتخابات 2018: بطرس حرب، مخايل ضاهر، زاهر الخطيب.



مجلس النواب ابان الحرب اللبنانية.

◀ والمتابعة بدءاً من احترامهم للوقت ومواظبتهم على حضور جلسات مكثفة للجان النيابية المختصة في اكثر من يوم في الاسبوع الواحد. استوقفته مشاغبات زاهر الخطيب ونجاح واكيم. لم تعد تلك الطينة موجودة بكثرة في صفوف النواب الذين تعاقبوا بعد دورة 1992، الا عند قلة من الوجوه التي استطاعت ان تحظى باهتمامات الاعلام وترقب المواطنين لها. امتاز مخايل ضاهر وبترس حرب وحسن الرفاعي وبهيج تقي الدين بنكهة خاصة في اعمال التشريع، اضافة الى اسماء لمعت في الجانبين المالي والاقتصادي من امثال جوزف شادر و"كل هؤلاء كانوا من العصر الذهبي للبرلمان". لم يختف حضور النواب العاديين في السابق واليوم، الذين تحركهم اصابع رؤساء كتلتهم او بالاحرى من جاء بهم على لوائحه الى ساحة النجمة. ثمة مجموعة من هؤلاء لم تسمع "جدران" القاعة العامة اصواتهم، وكل ما يهمهم هو الحصول على رضى رئيس الكتلة والضرب بسيفه.

لم ينس مدير متابع ومخضرم مداخلات كمال جنبلاط ورهمون اده ورشيد كرامي وصائب سلام وكميل شمعون وصبري حمادة وكامل الاسعد وعادل عسيران. و"يرجع سر نجاح هؤلاء الى ان السياسة كانت مهنتهم ويتنفسون من خلالها". سمحت الاوضاع الامنية المستقرة قبل عام 1975 بانتاجية اكبر للنواب واستفادة البلد من الرخاء الاقتصادي. وقد تراجع المستوى بدءاً من دورة 1992، وان من الواجب عدم تعميم هذا الحكم على الجميع.

لا يزال كثيرون من المتابعين للعمل التشريعي يتذكرون الى اليوم مداخلات الرفاعي وادمون رزق ونديم نعيم، وسحر خطابة لويس ابو شرف وادوار حنين، ورضانة حسين الحسيني وبيار حلو والبر منصور وعلي الخليل، وحماسة البر مخير، وطرافة جورج سعادة وسمعان الدويهي والياس هراوي ويوسف حمود

”
مداخلات الرفاعي
ورزق والمعلوف وخطابة
ابوشرف في البال

”يا حسن تعبنا بدنا نروح
على الغداء“

وميشال ساسين والرئيس رشيد الصلح، اضافة الى اتقان العدد الاكبر منهم اللغة العربية وعدم تلغتهم في الكلام والقاء المداخلات التي كانوا يكتبونها بانفسهم، ولا تكتب لهم ككثيرين في هذا الزمان. الهم من كل ذلك انهم كانوا لا يتبادلون عبارات نابية وقاسية، وان لم تخل بعض الجلسات من وقوع مشاجرات على سبيل المثال بين صائب سلام وكمال جنبلاط، او بين الاول ورشيد كرامي، او بين ريمون اده ومعظم النواب. لم يكن من السهل اغفال مناورات كاظم الخليل وجوزف